تقنيات الزمن السردي وتمثلاتها في طليعة كتب الأدب العباسي (نماذج ومختارات)

السيد محمد سالم[١]

شريف عبد الحليم عويضة[٢]

ملخص البحث

لقد وصل الأدب بنوعيه في العصر العباسي إلى ذروة حُسنه وروعته؛ حيث كان لامتزاج العرب بالأعاجم آثاره البعيدة في تهذيب الأفكار وثقل الأخيلة ونضج الثقافة وتجويد ألوان الكلام من شعر ونثر، وقد أخذ الخطاب السردي حظه الأوفر حينما تنوعت الفنون الأدبية في ذلك العصر، ولا يكون السرد إلا بزمن يُحكى في إطاره الأحداث، وتدور الشخصيات في فلكه، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على الزمن السردي بوصفه العنصر الذي يجمع كل العناصر السردية من جانب، ولبيان التقنيات الزمنية والمفارقات التي تُعنى بالتشويق من جانب آخر، مع اختيار نماذج ومختارات من كتب السرد الحكائي العباسي؛ ككتاب "الإمتاع والمؤانسة" و"الحيوان"، و"البيان والتبيين"، و"كليلة ودمنة" و"أخبار النساء"، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، ثم الاستنباطي لسبر غوره وتبيين جوهره.

الكلمات المفتاحية: التقنيات الزمنية، المفارقات الزمنية، الأدب العباسي، السرد .

Abstract

Literature of its two kinds reached, during the Abbasid era, to the peak of goodness and splendor, whereby the mingling of Arabs with non-Arabs had its far-reaching impacts in refining the ideas and imagination, the maturity of culture, and improving the types of speech; poetry and prose. The narrative discourse took its best chance when the literary arts diversified in that era, and the narration should not be without a time in which events are narrated and characters revolve in its orbit. Hence this study came to shed light on narrative era as the element that combines all the narrative elements, and to show the techniques and time paradoxes that create thrill, in addition to taking samples from the early books of narration, such as "Fun and Familiarity", "The Animal", "The Statement and Clarification", the "Calella and Damnah" and "Women's News", using the descriptive and the analytical approaches, and thus To explore his gore and to discover its essence.

Keywords: Time paradoxes, Time differences, Abbasid literature, Narration

[١] أستاذ مشارك بقسم الأدب والنقد والبلاغة، كلية اللغات –جامعة المدينة العالمية بماليزيا
elsayed.salem@lms.mediu.edu.my

[٢] جامعة المدينة العالمية بماليزيا

المبحث الأول: مفهوم البنية الزمنية السردية

المطلب الأول: الزمان لغة واصطلاحًا

الزمن في اللغة

في لسان العرب لابن منظور "الزمان اسم لقليل أو كثير.. والزمان زمان الرطب والفاكهة، وزمان الحر والبرد، ويكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر، والزمن يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه، وأزمن الشيء طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زمانًا"[١].

الزمن في الاصطلاح:

الزمن هو ركن أساسي من أركان السرد؛ فالزمن يمثل الإطار العام في العملية السردية؛ فكل الأحداث السردية تحدث في إطار زمني يحوطه ويؤطره من أحداث وشخصيات ... إلخ.

والزمن لدى السيميائيين السرديين ليس ترفًا بنائيًا، بل هو الإيقاع الحدثي الذي يسهم بدوره في تقريب السردِ من الواقع على المستوى السطحي، وعلى المستوى العميق، ويشارك في إنتاج دلالة النص بفاعلية أساسية؛ لذا تحدَّث السيميائيون السرديون عن مصطلح التفعيل الزمني مشيرين بأنه العملية التي يتم بها إضفاء بُعد زمني على الخطاب[٢].

ولا يستطيع أي عاقل أن يُنكر أن الزمان هو المحرك الأساسي للسرد؛ فلا نستطيع العثور "على عنصر من عناصر العملية السردية من غير أن نجد له علاقة بالحدث أو بالسرد؛ فهو المكون للُحْمَة الحدث"[٣].

والزمن هو العامل الأساسي في تصميم الشخصيات وبناء هيكلها وتشكيل أحداثها[٤]، "هذا بالإضافة إلى أنّ السرد زمنٌ، والوصف في بعض حالاته زمنٌ، والحوار زمنٌ؛ بمعنى أنّ كل ما يحصل في القصّ يتم عبر الزمان ومن خلاله"[٥].

---

[١] ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، د.ط، (د.م: الدار المصرية للتأليف والترجمة – طبعة مصورة عن طبعة بولاق، د.ت).

[٢] ماتن، برونوين، ورينجهام، فليزيتاس، **معجم مصطلحات السيميوطيقا**، ترجمة: عابد خزندار، د.ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٨م، ص ١٨٧.

[٣] القصراوي، مها، **الزمن في الرواية العربية**، ط١، الأردن: دار الفارس، ٢٠٠٥م، ص ٤٣.

[٤] يقطين، سعيد، **تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)**، د.ط، مصر: مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص١٠.

[٥] القصراوي، مرجع سابق: ص ٤٣.

المطلب الثاني: ماهية الزمن ومفهومه

يعد الزمن من أكثر الموضوعات استقطابًا لاهتمام الإنسان منذ القدم، والتي حار العلماء والفلاسفة في الإجماع على تعريفه وتوضيح مفهومه؛ مما فتح الباب على مصراعيه لكل مجتهد ولكل مفكر وما يبذله من فكر لتعريف يقترحه للزمن؛ ونظرًا لأهميته فقد حاول الفلاسفة والعلماء والمبدعون تحديد مفهومه وإبراز أنواعه؛ وهو ما دفع بأفلاطون لتفسير الزمن بأنه "مرحلة تمضي لحدث سابق إلى حدث لاحق"[١].

ونستطيع أن نقول إن مفهوم "لا لاند" للزمن لم يختلف كثيرًا عن مفهوم "أفلاطون"، فهو يرى أن الزمن "ضرب من الخيط المتحرك، الذي يجر الأحداث على مرأى من ملاحظ هو أبدًا في مواجهة الحاضر"[٢].

ولكن جاء الاختلاف من "باسكال" مع آراء السابقين في مفهومه للزمن؛ فهو يرى أن الزمن "من المستحيل ومن غير المُجدي أيضًا تحديد مفهوم الزمن"[٣]، ولعلي أتفق معه جزئيًا؛ فالزمن يدخل مفهومه في جميع مناحي الحياة، فلا يستطيع متخصص أن يحدد مفهومه إلا في ظل تخصصه ومفهومه الشخصي.

ونجد أنه في ظل الفكر الإنساني من يؤصل للزمن بمفاهيم وتعريفات مختلفة، محاولة منه لمعرفة أو إدراك ماهيته، ولعل الباحث يرى أن الزمن بمفهومه الشاسع هو تمثيل لمراحل الحياة، من الطفولة إلى الشيخوخة؛ فهو إذن القياس الدال على البقاء، وهو الخط الممثل لاستمرارية الحياة والدال على البداية والنهاية. والزمن ما هو إلا تجربة تتميز في جوهرها بالتواتر والتكرار؛ فهو ينطوي على دورات متعاقبة للأحداث، وللميلاد والموت، وللنمو والانحلال، بحيث تعكس دورات الشمس والقمر والفصول.

ومن السابق نستطيع أن نقول: إن الزمان هو حالة التعاقب الأبدي في الكون كله، ومن هنا تنشأ فكرة التاريخ والتأريخ للأحداث والوقائع المتعاقبة على مر الزمن، ومع ذلك سيظل مفهوم الزمن مميزًا بالانسيابية؛ فلا يمكن الكشف عن ماهيته باعتباره حقيقة في هذا الكون بصورة صريحة؛ لذلك نجد العلماء والفلاسفة قد تاهوا وحاروا لتحديد مفهوم الزمن، وهو ما يتجلى في قول القديس "أغوسطينوس" عن ماهية الزمن بقوله: "فما هو الوقت إذًا ؟ إنْ لم يسألني أحد عنه أعرفه، أما أنْ أشرحَه فلا أستطيع"[٤].

---

[١] مرتاض، عبد الملك، **في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد**، د.ط، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م، ص ٢٠٠.

[٢] المرجع السابق، ص ٢٠٠.

[٣] المرجع السابق، ص ١٧٣.

[٤] الجابري، محمد عابد، **بنية العقل العربي**، ط٥، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٦م، ص ١٨٩.

المطلب الثالث: الزمن في المفهوم الأدبي

كما تمت الإشارة آنفا فإن الزمن لا يمكن إدراك كنهه مجردا، ولا يمكن الوقوف عليه بعيدا عن الأحداث وتعاقبها، وهو يظهر بشكل أوضح في المجالات المختلفة كالأدب. والزمن في المفهوم الأدبي هو زمن إنساني، فليس شرطا للعمل الأدبي أن يكون الزمن موضوعيًّا أو واقعيًّا؛ فهو زمن التجارب والانفعالات، وهو زمن الحالة اللا شعورية التي تلازم المبدع.

فهو ليس زمنًا بالمفهوم التقليدي كتحديد للوقت، بل هو زمن نسبي يختلف من مبدع لآخر تبعًا للفرد نفسه وحالته وخبرته الذاتية؛ فهو زمن غني بالحياة الداخلية والأحداث.

وقد اهتم الشكلانيون الروس بالزمان اهتمامًا كبيرًا، وذلك انطلاقًا من ثنائية المبنى والمتن الحكائي. والمتن الحكائي كما يعرفه "توماشفسكي" هو " مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها التي يقع إخبارنا بها خلال العمل"[١]، أما المبنى الحكائي فهو "يتألف من الأحداث نفسها، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لها"[٢].

المطلب الرابع: الفهم السردي للزمن

العلاقة ما بين السرد والزمن عند العرب معروفة منذ زمن بعيد؛ فلقد عرف العرب السرد بأنواعه، وعرفوا العلاقة بين السرد والزمن، وأن الزمن من أهم أسباب وجود السرد وأهميته؛ فالناظر إلى كتب الأدب ككتاب حكايات ألف ليلة وليلة، وكتاب كليلة ودمنة، والمقامات العربية، يجد أنها خير دليل على معرفة العرب بالسرد، واهتمامهم به، وكيف لا يهتمون به؛ ونحن لا نستطيع أن نشير إلى أي عمل أدبي أو سردي بدون وجود الزمن، فهو الحقيقة المجردة والتي لا تظهر إلا من خلال مفعولها على باقي العناصر الأخرى[٣].

إن أي عمل سردي لابد أن يتوفر فيه عنصران مهمان؛ هما الزمان والمكان، إذ يؤديان دورًا مهمًّا وفعّالا، لأنّ أيّ عمل سردي عبارة عن نقل لأحداث وتصوير لشخصيات، ولا يتأتّى هذا إلا بوجود هذين العنصرين المتفاعلين المشكلين بنيتين تشاركان أبنية أخرى في إنتاج العمل الأدبي(٤)، ولقد اهتم النقاد والدارسون قديمًا

---

[١] الخطيب، إبراهيم، **نظرية المنهج الشكلي – نصوص الشكلانيين الروس**، بيروت: ين مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٨م، ص ١٨٠.

[٢] المرجع السابق، ص ١٨٠.

[٣] مجموعة من المؤلفين، **نظرية المنهج الشكلي– نصوص الشكلانيين الروس**، ترجمة: إبراهيم الخطيب، ط١، بيروت: منشورات مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٢م، ص ١٧٩.

[٤] بورايو، عبد الحميد، **منطق السرد "دراسات في القصة الجزائرية الحديثة"**، د.ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م، ص ١١٦.

وحديثًا بالزمن، ويعود هذا الاهتمام إلى مقولة أساسية هي أن إشكالية الأدب القصصي عمومًا مردها إلى إشكالية زمنية[١].

إن التصور العام للزمن لدى النقاد بأن الزمن مجرد حقيقة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على الشخصيات والمكان، والزمن هو القصة وهي تتشكل وهو الإيقاع[٢]، والزمن خيط وهمي مسيطر على كافة الأفكار والأنشطة[٣]، والزمن هو العلامة الدالة على مرور الوقائع اليومية في إطار الأحداث، ويُضفي عليها صفة الانتظام[٤].

والتصور الخاص للزمن انطلق من حديث النقاد عن الزمن السردي من الفهم اللغوي الغربي للزمن، وتحديدات الغربيين له. فالزمن في النص السردي هو زمن داخلي، ناتج من حركة الشخصيات فيه، ووعيها له، ولقد قام النقاد بتصنيف أزمنة السرد إلى ثلاثة أقسام: الزمن الطبيعي، والزمن الحدثي، والزمن اللغوي. وهو تقسيم الناقد إميل بينفينست، ويقصد بالزمن الطبيعي الزمن الفيزيائي، وهو زمن خطي، ويستطيع الإنسان قياسه؛ وذلك لارتباطه بإيقاع حياته الداخلية. أما الزمن الحدثي فهو زمن الأحداث التي تعطي حياتنا كمتتالية من الوقائع، وهذان الزمنان مزدوجان ذاتيًّا وموضوعيًّا. أما الزمن اللغوي فهو الزمن المرتبط بالكلام أو اللغة، ووظيفته وظيفة خطابية، ومنبعه هو الحاضر[٥]، "فالحاضر هو أساس كل التقابلات الزمنية للغة، ومنه يمكن أن نلمس حدثًا غير معاصر للخطاب، وهذا ما تستدعيه الذاكرة ولحظة يكون الحدث غير متحقق الحضور فيها"[٦].

ويرى "تدوروف" أن وجوب الاهتمام بالزمن في الأعمال السردية "يطرح بسبب التباين بين زمنية الحكاية، وزمنية الخطاب. فزمن الخطاب زمن طولي، أما زمن الحكاية متعدد الأبعاد، إذ ممكن أن تجري مجموعة من الأحداث في الحكاية في وقت واحد، لكن الخطاب مرغم على تقديم هذه الأحداث الواحد تلو الآخر"[٧].

وخلاصة القول هنا أن أي عمل سردي يتكون من شخصيات وأحداث وفضاء مكاني فلا يمكن لهذه المكونات أن تكتسب حيويتها وحركيتها إلا بوجود عنصر الزمن، وما يرافقه من تحولات مستمرة؛ فوجود الزمن في

---

[١] ميرهوف، هانز، **الزمن في الأدب**، ترجمة: أسعد رزق، د.ط، القاهرة: مطابع سجل القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١٥.

[٢] قاسم، سيزا أحمد، **بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ**، د.ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص ٢٧.

[٣] مرتاض، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

[٤] إبراهيم، عبد الله، **البناء الفني لرواية الحرب في العراق**، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م، ص ١٧.

[٥] يقطين، مرجع سابق، ص ١٦١.

[٦] المرجع السابق، ص ١٦١.

[٧] قاسم، مرجع سابق، ص ٢٢١.

السرد وجود لازم، ولا سرد بدون زمن يُحكى في إطاره الأحداث وتدور الشخصيات في فلكه؛ فالزمن هو الذي يجمع كل العناصر السردية.

المبحث الثاني: تقنيات الزمن السردي (المفارقات الزمنية)

إن الأحداث السردية لا نستطيع أن نقدم كل مجرياتها مرة واحدة، أو أن نقدم أحداثًا على مساحة واسعة من الزمن، ولذلك السبب نرى الكثير من الإسقاطات الزمنية سواء بالدمج أو التطويل، مما يؤدي إلى عملية إسقاط الكثير من المساحات الزمنية، وكذلك القفز إلى الأمام زمنيًّا لإيصال الحدث والمعنى تاركًا ما لا يفيد من أحداث[١].

إن السارد ليس ملزمًا بالضرورة أنْ يتقيدَ بالترتيب الزمني للأحداث، فهو يستطيع بموهبته وأدواته أن يتلاعبَ بالزمان على وفق ما يراه مناسبًا للأحداث؛ فالسرد خلخلةٌ واضحةٌ للزمن (صحراوي، مرجع سابق: ٢٤)، وتلاعبٌ بيّنٌ فيه، وهذا التلاعب من شأنه أنْ يحقق لنا غايات فنية وجمالية أهمها أنَّ السارد يحقق غايات فنية منها: التشويق، والتماسك، والإيهام بالحقيقي[٢].

وقد استخدم كتاب وأدباء العصر العباسي تقنيات الزمن السردي أو المفارقات الزمنية، ولم يتقيدوا بترتيب الأحداث الزمني، مما حقّق الغايات الفنية المطلوبة، ومن هذه المفارقات الزمنية التي استخدموها: الإضمار، والمجمل، والوقفة الوصفية، والاسترجاع، والاستشراف، وفيما يلي تفصيلها.

المطلب الأول: الإضمار

يقصد بالإضمار الجزء المسقط المقطع في النص من زمن الحكاية[٣] ويسمى كذلك الثغرة، وهي تمثل المقاطع الزمنية في النص التي يعالجها الكاتب معالجة نصية.

إن الزمن المسقط أو الثغرة، إما أن ينص عليه السارد فيسمى الثغرة المذكورة، وذلك بذكر طول الفترة الزمنية المسقطة بالأيام، الأسابيع، الأشهر، السنين أو لا يذكره ويسمى بالثغرة الضمنية[٤]، فتبقى مبهمة على السامع أو القارئ، ويمكن استنتاجها من سياق النص ذاته.

---

[١] الشويلي، داود سلمان، **ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية**، د.ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص ٧٤.

[٢] العيد، يُمنى، **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ط٢، لبنان: دار الفارابي، ١٩٩٩م، ص ٧٥.

[٣] شاكر، جميل، والمرزوقي، سمير، **مدخل إلى نظرية القصة**، د.ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية – تونس: الدار التونسية للنشر، ص ٨٥.

[٤] قاسم، مرجع سابق، ص ٦٤.

والإضمار هو تقنية من تقنيات تسريع حركة السرد، لكن الكاتب هنا يقوم بإسقاط فترة زمنية من زمن القصة، وعدم الإشارة لما جرى فيها من وقائع وأحداث، ويكتفي بتحديد العبارات الزمنية التي تدل على حذف الفترة المحكية[١].

وتمتلئ كتب الأدب في العصر العباسي باستخدام الإضمار سواء الصريح أو المضمن، وذلك لأن السارد يروي أحداثًا تمتد على فترات زمنية طويلة في زمن قصير، أو يدونها على مساحة صغيرة.

ومن الأمثلة على الإضمار الصريح في أوائل كتب الأدب العباسي ما جاء في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" في الليلة التاسعة عشرة: "ورسم بجمع كلمات بوارع، قصار جوامع، فكتبت إليه أشياء كنت أسمعها من أفواه أهل العلم والأدب على مرّ الأيام في السّفر والحضر، وفيها قرع للحسّ، وتنبيه للعقل، وإمتاع للرّوح، ومعونة على استفادة اليقظة، وانتفاع في المقامات المختلفة، وتمثّل للتجارب المخلّفة، وامتثال للأحوال المستأنفة"[٢].

فلقد أضمر الأحداث التي مرت به خلال جمعه من أفواه العلماء وأهل الأدب لقصار الكلمات الجوامع والتي تحمل عبرة وعظة، وذلك أن الوزير كان قد كلَّفه بكتابة كلمات جوامع قصار، فكتب له كتابًا قرأه عليه في تلك الليلة، والتي غلب عليها الطابع الأدبي.

وفي الليلة العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة: "الطاووس يعيش خمسًا وعشرين سنة، وفي هذه المدة تنتهي ألوان ريشه ويحضن بيضه ثلاثين يومًا. قيل: وربّما أكثر قليلا، ويبيض في كلّ سنة مرّة واحدة"[٣].

نجد إضمار مراحل حياة الطاووس الخمس والعشرين سنة كلها أضمرها في سطر واحد بتفاصيل قليلة عن حياته.

وفي الليلة الثالثة والثلاثين: "فقال غيلان: حدَّثني عمي قال: توالت على العرب سنون سبع في الجاهلية حصَّت كلَّ شيء، فخرجتُ على بكر لي في العرب، فمكثتُ سبعًا لا أذوق فيهنَّ شيئًا إلا ما ينال بعيري من حشرات الأرض حتى دنوت إلى حِواء عظيم، فإذا ببيت جَحَشَ (انفرد) عن الحيّ، فملت إليه، فخرجت إليَّ امرأة طوالة حسَّانة، فقالت: من؟ قلت: طارق ليل يلتمس القرى. فقالت: لو كان عندنا شيء آثرناك به، والدالُّ على الخير كفاعله، جس هذه البيوت فانظر إلى أعظمها، فإن يك في شيء منها خير؛ ففيه"[٤].

فقد أضمر أحداث السنين السبع في جملة "حصَّت كل شيء"، و(حصَّت) أي أذهبت، وسنَة حَصَّاء: قليلة الخير، وأضمرت المرأة في قولها: "فإن يك في شيء منها خير؛ ففيه".

---

[١] لودج، ديفيد، **الفن الروائي**، ترجمة: ماهر البطوطي، ط١، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م، ص ١٥٦.

[٢] أبو حيان، علي بن محمد بن العباس التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، راجعه: هيثم خليفة الطعيمي، ط١، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ، ص ١٩٨.

[٣] أبو حيان، مرجع سابق، ص ١٢٠.

[٤] المرجع السابق، ص ٣٢٦.

وفي الليلة نفسها ذكر أبو حيان، عن عمر– رضي الله عنه – قال: "لولا القيامة لشاركناكم في لين عيشكم"[١].

نجد عمر هنا يُضمر الكلام عن الوقوف بين يدي الله – عز وجل – يوم القيامة للحساب، واكتفي بقوله: "لولا القيامة".

وفي كتاب "الحيوان" في باب "تدرج أبي دلامة في طلبه"، نجده يقول: "أصابتنا سنة شديدة، ثم أعقبتها سنة تتابع فيها الأمطار"[٢]، نجد الإضمار في عدم ذكر أي أحداث ما بين السنة الشديدة والتي أصابتهم بالقحط والفقر وما بين السنة الخيرة والتي رزقهم الله فيها بالأمطار والخير، وعدم الإشارة لما جرى فيما بينهما من وقائع وأحداث.

وتحت عنوان "خطبة بدوي فيها ذكر الفيل": "وقال الأصمعي: جنى قوم من أهل اليمامة جناية، فأرسل إليهم السلطان جندًا من بخارية ابن زياد".

فقد أضمر الأحداث في جملة "جنى قوم.. جناية"، ثم أضمر ما بعدها من تبعات، فلم يذكر ما بين الجناية إلى أن وصل الخبر للسلطان؛ فلما وصل الخبر للسلطان أرسل إليهم جندًا.

المطلب الثاني: المجمل

أو ما يطلق عليه أيضًا اسم الملخص، وهو المساحة النصية أو الزمنية التي تكون أصغر من سرعة الحدث أو زمن المتن[٣]، والسرد المجمل هو سرد أيام عديدة أو شهور أو سنوات من حياة شخصية بدون تفصيل للأفعال أو الأقوال، وذلك في بضعة أسطر أو فقرات قليلة؛ حيث يتم المرور السريع على فترات زمنية لا يرى المؤلف أنها جديرة باهتمام القارئ[٤].

جاء في كتاب "الإمتاع والمؤانسة"، وفي الليلة الثامنة: "لما ورد ذو الكفايتين سنة أربع وستين وهزم الأتراك مع أفتكين"، فلقد أجمل أحداث الهزيمة للأتراك بمجرد ذكرها فقط، فلم تكن أحداث الحرب هي المقصودة، بل كان المقصود مقابلة ابن الحجاج.

---

[١] المرجع السابق، ص ٣٣٦.

[٢] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، **الحيوان**، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ص ٢٤١.

[٣] قاسم، مرجع سابق، ص ٥٤.

[٤] شاكر والمرزوقي، مرجع سابق، ص ٨٥.

ومن الأمثلة على ذلك في أوائل كتب الأدب العباسي ما جاء بمقدمة كتاب "كليلة ودمنة": "فلم يزل بيدبا وتلميذه في المقصورة، حتى استتما عمل الكتاب في مدة سنة"[١].

أجمل الكاتب أحداث السنة التي قضاها في كتابة كتابه كلها في جملة واحدة دون أن يوضح أي شيء عما واجهه من صعوبات أو عوائق في كتابة هذا الكتاب. وقد أعطى النتيجة للقارئ مباشرة وبإيجاز دون أي تفاصيل. وبذلك نرى أنه أعطى النص مساحة نصية قليلة على حدث كبير، فالكاتب أعطى سرد أيام وشهور عديدة بدون تفصيل للأفعال.

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا ما ذكره الجاحظ في كتاب (الحيوان): "وأخبرني عبويه صاحب ياسر الخادم قال: أرسلتُ كلبة لي فحاصرتْ ثعلبًا، فوالله إن زالا كذلك حتى خرَّا ميتين، قال: فقلت: أكرم بهما صيدًا ومصيدًا، وطالبًا ومطلوبًا"[٢].

فقد أجمل أحداث الصراع الذي دار بين الكلبة والثعلب، وذكر النتيجة فقط وهي أنهما (خرَّا ميتين).

المطلب الثالث: الوقفة الوصفية

الوقفة هي التوقف الحاصل من جراء المرور من سرد الأحداث إلى الوصف، وللوصف دور كبير في فنية الحكاية خاصة عندما تنتقل الأحداث من كونها متن حكائي إلى كونها مبنى حكائي؛ عندها يصبح الوصف مقطعًا مستقلا بذاته، وليس له علاقة بزمن النص، إذ يقف زمن السرد مؤقتا[٣].

ومن أمثلة الوقفة الوصفية في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" ما جاء في الليلة الرابعة والثلاثين: "كنت بنيسابور سنة سبعين وثلاثمائة، وقد اشتعلت خراسان بالفتنة، وتبلبلت دولة آل سامان بالجور وطول المدّة، فلجأ محمّد بن إبراهيم صاحب الجيش إلى قايين، وهي حصنه ومعقله، وورد أبو العبّاس صاحب جيش آل سامان نيسابور بعدّة عظيمة، وعدّة عميمة، وزينة فاخرة، وهيئة باهرة، وغلا السّعر وأخيفت السّبل، وكثر الإرجاف، وساءت الظّنون، وضجّت العامّة، والتقس الرأي، وانقطع الأمل، ونبح كلب كلب من كلّ زاوية، وزأر كلّ أسد من كلّ أجمة، وضبح كلّ ثعلب من كلّ تلعة"[٤].

[١] ابن المقفع، أبو محمد عبد الله، (**ترجمة لكتاب الفيلسوف الهندي بيدبا) – كليلة ودمنة**، د.ط، القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٣٧م، ص ٤٠.

[٢] الجاحظ، مرجع سابق، ٧ / ١٤٩.

[٣] شاكر والمرزوقي، مرجع سابق، ص ٨٦.

[٤] التوحيدي، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

ومن أمثلة الوقفة الوصفية في كتاب "البيان والتبيين" تحت عنوان (دولة الأمويين ودولة العباسيين والمؤرخون العرب): "وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى إلينا من كلام خلفائنا من ولد العباس، ولو أن دولتهم عجمية خراسانية، ودولة بني مروان عربية أعرابية وفي أجناد شامية.

والعرب أوعى لما تسمع، وأحفظ لما تأتى، ولها الأشعار التي تقيد عليها مآثرها، وتخلد لها محاسنها. وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عادتها في جاهليتها، فبنت بذلك لبني مروان شرفًا كثيرًا ومجدًا كبيرًا، وتدبيرًا لا يُحصى"[١].

المطلب الرابع: الاستذكار (الاسترجاع: Flash Back)

وهو مفارقةٌ زمنية يعود بوساطتها الراوي بقارئ نصه إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، تلك اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساقٍ من الأحداث ليفسح المجال أمام عملية الاسترجاع (برنس، ترجمة ٢٠٠٣م: ٢٥)، والاسترجاع هو نوع من أنواع بذل الجهد الفكري لاستعادة ما اندرس من ذكريات (قاسم، مرجع سابق: ٦٠)، فضلا عن كونه يمثل نوعًا من الاتساع النصي الذي يحقق بالضرورة غايات جمالية ودلالية، فهو عملية لا شعورية تفسيرية تعليلية[٢].

ومن الأمثلة على ذلك في أوائل كتب الأدب العباسي ما ذُكر في كتاب "كليلة ودمنة" في باب "الأسد والثور" بقوله: "كان في من معه من السباع ابنا آوى، يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة؛ وكانا ذوي دهاء وعلمٍ وأدبٍ. فقال دمنة لأخيه كليلة: يا أخي ما شأن الأسد مقيمًا مكانه لا يبرح ولا ينشط؟ قال له كليلة: ما شأنك أنت والمسألة عن هذا؟"... إلى قوله: "فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد"[٣].

ونرى انقطاع السرد عن حكي الأسد –العودة إلى الوراء– ليلقي الضوء على موقف من المواقف، أو ليعود إلى وقائع قصة أخرى –النجار والقرد– تأتي لاسترجاع زمن السرد عن مكانه الطبيعي لتوضح الفكرة وتقويها.

ومن اللافت للنظر أن نجد الاسترجاع يتضمن بداخله استرجاعًا، أو كما نستطيع أن نُطلق عليه "الاسترجاعات المتداخلة"، وكأنها دوائر زمنية يحاول بها الكاتب التنقل بين أبعاد الزمن السردي بحركة تلقائية،

---

[١] الجاحظ، مرجع سابق، ٣ / ٢٣٧.

[٢] الونسة، فادية مروان أحمد، **السرد عند الجاحظ – البخلاء أنموذجًا**، أطروحة دكتوراه، (العراق: جامعة الموصل، ٢٠٠٤م، ص ٨٧.

[٣] ابن المقفع، مرجع سابق، ص ٩٥ . ٩٦.

يحاول بها الكاتب أن يُسدي النصح في صورة ليست مكشوفة على ألسنة الحيوانات، وأيضًا لإثراء العمل السردي القصصي حتى لا يشعر القارئ بالملل.

ومن الأمثلة على الاسترجاع المتداخل في كتاب "كليلة ودمنة" قوله: "زعموا أن غرابًا كان له وكرٌ في شجرةٍ على جبلٍ؛ وكان قريبًا منه جُحر ثعبانٍ أسود، فكان الغراب إذا فرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها؛ فبلغ ذاك من الغراب وأحزنه، فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى؛ وقال له: أريد مشاورتك في أمرٍ قد عزمت عليه؛ قال: وما هو؟ قال الغراب: قد عزمت أن أذهب اليوم إلى الأسود إذا نام، فأنقر عينيه، فأفقأهما، لعلي أستريح منه. قال ابن آوى: بئس الحيلة التي احتلت؛ فالتمس أمرًا تصيب فيه بغيتك من الأسود، من غير أن تغرر بنفسك وتخاطر بها. وإياك أن يكون مثلك مثل العلجوم الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه. قال الغراب: وكيف كان ذلك؟".

وحتى قوله: "فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من الأسود. فانطلق الغراب محلقًا في السماء؛ فوجد امرأةً من بنات العظماء فوق سطح تغتسل؛ وقد وضعت ثيابها وحليها ناحيةً؛ فانقض واختطف من حليها عقدًا، وطار به، فتبعه الناس؛ ولم يزل طائرًا واقعًا، بحيث يراه كل أحدٍ؛ حتى انتهى الأمر إلى جحر الأسود؛ فألقى العقد عليه، والناس ينظرون إليه. فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الأسود"[١].

جاء الاسترجاع الأول في قصة دمنة عن الغراب وحيلته مع الثعبان الأسود، الذى كان يأكل فراخه، مما أحزن قلب الغراب، واضطر إلى اللجوء إلى بنات آوي[٢]، ليشاوره في أمر تخلصه من الثعبان بأن يفقأ عينيه، ولكن ابن آوي نهره، وحكى له قصة العلجوم ومحاولته قتل السرطان، وهنا جاء الاسترجاع الثاني من رحم الاسترجاع الأول.

المطلب الخامس: الاستشراف

هو ذكر سابق لحدثٍ لاحق، أي أنه عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آتٍ، أو الإشارة إليه مسبقًا. أي أنه عملية سردية معاكسة لعملية الاسترجاع[٣]، وهي تقنية من تقنيات المفارقة السردية، وفيها يقوم المؤلف بالقفز إلى المستقبل التالي والتطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي[٤]، وهو الرؤية المتوقعة لما سيحدث في المستقبل، بحيث يتوقع الراوي وقوع أحداث قبل تحققها في زمن السرد ونصطدم أمام ترتيب زمني غير طبيعي[٥].

---

١ ابن المقفع، مرجع سابق، ص ١١٢ . ١١٥.

٢ حيوان ثديي من رتبة اللواحم وفصيلة الكلبيّات، يقطن أفريقيا الشمالية والشرقية بالإضافة لجنوب شرق أوروبا وآسيا الجنوبية حتى بورما.

٣ شاكر والمرزوقي، مرجع سابق، ص ٧٦.

٤ بحراوي، حسن، **بنية الشكل الروائي**، ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م، ص ١٣٣.

٥ لودج، مرجع سابق، ص ٨٦.

ومن الأمثلة على الاستشراف في أوائل كتب الأدب العباسي، في كتاب "كليلة ودمنة" وفي باب "بروزيه ترجمة بزرجمهر بن البختكان" نرى الاستشراف في الأحداث في قوله: "ثم نظرت في الذي أكابده من احتمال النسك وضيقه؛ فقلت: ما أصغر هذه المشقة في جانب روح الأبد وراحته. ثم نظرت فيما تشره إليه النفس من لذة الدنيا"... إلى قوله: "كيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك، وأذى تلك الأيام قليلٌ يعقب خيرًا كثيرًا؟ فلنعلم أن الدنيا كلها بلاءٌ وعذابٌ. أوليس الإنسان إنما يتقلب في عذاب الدنيا"[١].

وهو ها هنا استشراف لما لمتاع الدنيا من واقع مشهود وبين نعيم الآخرة وهو الغيب الموعود، ونجد التاجر يستشرف ويقارن ما بين ترك ما بين يديه من نعيم الدنيا الزائل والمؤقت إلى نعيم دائم بقوله: "ما أصغر هذه المشقة في جانب روح الأبد وراحته"، وهي هنا مقابلة في المدة الزمنية. وقد اقتبس من معاني القرآن الكريم من الآيات الكريمة: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٌ مِّن نَّهَارٍ) (سورة الأحقاف، الآية: ٣٥)، وقوله تعالى: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا) (سورة النازعات، الآية: ٤٦).

وفي كتاب "البيان والتبيين" صورٌ عديدة للاستشراف، منها للمثال لا للحصر ما جاء في باب "ما قيل في الحق والباطل" لرجل من النساك، قال: "ما يمنعني من تعلم القرآن إلا أني أخاف أن أضيعه"[٢]، فجاء الاستشراف هنا متمثلا في القفز إلى المستقبل، وتوقع ما قد يأتي في المستقبل من نسيانه لما حفظه من القرآن الكريم.

ومنها أيضًا ما جاء في كتاب "الزهد": "باع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضًا بثمانين ألفًا، فقيل له: لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرًا. قال: إنما أجعل هذا المال ذخرًا لي عند الله، وأجعل الله ذخرًا لولدي. وقسم المال"[٣].

فجاء الاستشراف في قولهم: "لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرًا"، وفي رده عليهم أيضًا.

الخاتمة والنتائج

السرد هو الطريقة التي تُحكى بها أحداث الرواية، وهو ليس حكرًا على فن واحد من فنون الأدب؛ فهو قائم في الأسطورة والحكاية، والكوميديا والتراجيديا، وفي الرواية والقصة القصيرة والسيرة أيضًا. ويتميز السرد بأنه قصير وهادف، وينبع من الواقع التاريخي، والإنسان فطر على حب الأخبار القصصية والولع بها، والتشوق لسماعها رغبة في التأثر والإمتاع، وهذا ما يبرر ذلك الاتساع الكبير لها بين آداب الشعوب المختلفة، فالأسلوب القصصي محبب إلى النفوس.

[١] ابن المقفع، مرجع سابق، ص ٨٥.
[٢] الجاحظ، مرجع سابق، ص ١٨٣.
[٣] الجاحظ، مرجع سابق: ٣ / ١٠٠.

وقد امتلأت كتب الأدب في العصر العباسي بكثير من الحكايا والقصص والأخبار والأحداث السياسية والاجتماعية والدينية، التي عبّرت عن الحياة والمجتمع في العصر العباسي.

وقد استخدم الأدباء في العصر العباسي في كتاباتهم تقنيات زمنية مختلفة، واستطاعوا بموهبتهم وأدواتهم أن يتلاعبوا بالزمان، على حسب ما يرونه مناسبا للأحداث، مما حقّق التماسك والتشويق، وهو ما ظهر جليا في الكتب الأولى للسرد الحكائي المكتوب، والتي تم الوقوف على نماذج منها والتعليق عليها بشكل موجز .

وقد توصل البحث في نهايته إلى نتائج؛ أهمها:

١. الزمن بمفهومه الشاسع هو تمثيل لمراحل الحياة، من الطفولة إلى الشيخوخة؛ فهو إذن القياس الدال على البقاء، وهو الخط الممثل لاستمرارية الحياة والدال على البداية والنهاية. والزمن ما هو إلا تجربة تتميز في جوهرها بالتواتر والتكرار؛ فهو ينطوي على دورات متعاقبة للأحداث، وللميلاد والموت، وللنمو والانحلال، بحيث تعكس دورات الشمس والقمر والفصول.
٢. إن الزمان هو حالة التعاقب الأبدي في الكون كله، ومن هنا تنشأ فكرة التاريخ والتأريخ للأحداث والوقائع المتعاقبة على مر الزمن؛ فلا يوجد سرد بدون زمن أو مكان للأحداث.
٣. الزمن في المفهوم الأدبي هو زمن إنساني، فليس شرطا للعمل الأدبي أن يكون الزمن موضوعيًّا أو واقعيًّا؛ فهو زمن التجارب والانفعالات، وهو زمن الحالة اللا شعورية التي تلازم المبدع. فهو ليس زمنًا بالمفهوم التقليدي كتحديد للوقت، بل هو زمن نسبي يختلف من مبدع لآخر تبعًا للفرد نفسه وحالته وخبرته الذاتية؛ فهو زمن غني بالحياة الداخلية والأحداث.
٤. إن أي عمل سردي يتكون من شخصيات وأحداث وفضاء مكاني فلا يمكن لهذه المكونات أن تكتسب حيويتها وحركيتها إلا بوجود عنصر الزمن، وما يرافقه من تحولات مستمرة؛ فوجود الزمن في السرد وجود
٥. لازم، ولا سرد بدون زمن يُحكى في إطاره الأحداث وتدور الشخصيات في فلكه؛ فالزمن هو الذي يجمع كل العناصر السردية.
٦. استخدم كتاب وأدباء العصر العباسي تقنيات الزمن السردي أو المفارقات الزمنية، ولم يتقيدوا بالترتيب الزمني للأحداث، مما حقّق الغايات الفنية المطلوبة، ومن هذه المفارقات الزمنية التي استخدموها: الإضمار، والمجمل، والوقفة الوصفية، والاسترجاع، والاستشراف، وقد ظهرت هذه التقنيات جلية في أوائل الكتب التي اختصت بالسرد الحكائي؛ ككتاب "الإمتاع والمؤانسة" و"الحيوان"، و"البيان والتبيين"، و"كليلة ودمنة" و"أخبار النساء".
٧. إن توظيف تقنيات الزمن السردي وتنوعها في أوائل كتب الأدب العباسي، جعلت نصوصها أكثر فنية وجمالا وإمتاعا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- إبراهيم، عبد الله، **البناء الفني لرواية الحرب في العراق**، ط١، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م).
- برنس، جيرالد، **المصطلح السردي**، ترجمة: عابد خزندار، ط١، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م).
- بورايو، عبد الحميد، **منطق السرد "دراسات في القصة الجزائرية الحديثة"**، د.ط، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م).
- الجابري، محمد عابد، **بنية العقل العربي**، ط٥، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٦م).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، **الحيوان**، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).
- الخطيب، إبراهيم، **نظرية المنهج الشكلي – نصوص الشكلانيين الروس**، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٨م).
- أبو حيان، علي بن محمد بن العباس التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، راجعه: هيثم خليفة الطعيمي، ط١، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ).
- شاكر، جميل، والمرزوقي، سمير، **مدخل إلى نظرية القصة**، د.ط، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية – تونس: الدار التونسية للنشر).
- الشويلي، داود سلمان، **ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية**، د.ط، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م).
- صحراوي، إبراهيم، **السرد العربي القديم**، ط١، (الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٨م).
- العشراتي، سليمان، **الخطاب القرآني – مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي**، ط٣، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٨م).
- العيد، يُمنى، **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ط٢، (لبنان: دار الفارابي، ١٩٩٩م).

- قاسم، سيزا أحمد، **بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ**، د.ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م).
- القصراوي، مها، **الزمن في الرواية العربية**، ط١، (الأردن: دار الفارس، ٢٠٠٥م).
- لودج، ديفيد، **الفن الروائي**، ترجمة: ماهر البطوطي، ط١، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م).
- ماتن، برونوين، ورينجهام، فليزيتاس، **معجم مصطلحات السيميوطيقا**، ترجمة: عابد خزندار، د.ط، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٨م).
- مجموعة من المؤلفين، **نظرية المنهج الشكلي– نصوص الشكلانيين الروس**، ترجمة: إبراهيم الخطيب، ط١، (بيروت: منشورات مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٢م).
- المحادين، عبد الحميد، **التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف**، ط١، (بيروت: منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م).
- مرتاض، عبد الملك، **في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد**، د.ط، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م).
- ابن المقفع، أبو محمد عبد الله، (**ترجمة لكتاب الفيلسوف الهندي بيدبا) – كليلة ودمنة**، د.ط، (القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٣٧م).
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، د.ط، (د.م: الدار المصرية للتأليف والترجمة – طبعة مصورة عن طبعة بولاق، د.ت).
- ميرهوف، هانز، **الزمن في الأدب**، ترجمة: أسعد رزق، د.ط، (القاهرة: مطابع سجل القاهرة، ١٩٧٢م).
- الونسة، فادية مروان أحمد، **السرد عند الجاحظ – البخلاء أنموذجًا**، أطروحة دكتوراه، (العراق: جامعة الموصل، ٢٠٠٤م).
- يقطين، سعيد، **تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)**، د.ط، (مصر: مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).